المقتطف

الجزء الثاني من السنة السادسة عشرة

١ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٩١ الموافق ٢٩ ربيع اول سنة ١٣٠٩

فوائد الغنى ومضارهُ

لا شيء انفع للفتى من مالهِ يقضي حوائجهُ ويجلب انسهُ
واذا رمتهُ يد الزمان بسهمهِ غدت الدراهم دون ذلك ترسهُ

وهذا لسان حال الناس في كل زمان ومكان ولم يتفقوا عليهِ الّا لانهم اختبروا القوة المذّخرة في المال فوجدوا ان الدينار الذي تستأجر بهِ عشرين عاملاً يعملون في ارضك بمثابة عشرين رجلاً يقومون على خدمتك نهارًا وليلاً

وكسب المال ليس بالامر العسير اذا احكم الانسان اساليب السعي وطرق التدبير ولكن حفظهُ وانفاقهُ بالحكمة وتخليص النفس من الاستعباد لهُ امور عسيرة تتعذّر على كثيرين وما احسن ما قيل

اذا المرء لم يعتق من المال نفسهُ تملّكهُ المال الذي هو مالكُهُ
ألا انما مالي الذي انا منفقٌ وليس لي المال الذي انا تاركهُ

ولكن الاغنياء يقعون غالبًا في شرك الغنى ويصيرون لهُ عبيدًا ارقاء . قيل انهُ كان عند دوق برنسويك من الجواهر ما قيمتهُ نحو اثني عشر مليونًا من الفرنكات فاضطرّ ان يقيم في باريس ولا يخرج منها وان لا ينام خارج قصرهِ ليلةً واحدة واحاط القصر بسور منيع ونصب فوق السور قضبانًا من الحديد محدّدة الرؤوس كالرماح ووصلها باجراس كبيرة حتّى اذا لمس اللص واحدًا منها اخذت الاجراس تدق من نفسها وانفق على هذه القضبان اكثر من سبعين الف فرنك . وبنى لجواهرهِ جدارًا تحتيًّا داخل الغرفة التي ينام فيها

ووضع سريرهُ حذاء باب الجدار حتَّى اذا دنا منهُ لص يضطرُّ ان يدوس على السرير وجعل الجواهر في خزانة منيعة من الحديد والمرمر داخل هذا الجدار اذا فُتحت عنوةً انبعثت منها طلقات ناريَّة تقتل من يفتحها حالاً وهي متصلة باجراس في كل غرفة من غرف القصر فتدق كلها اذا فتحت الخزانة عنوةً . ولم يكن في غرفتهِ الاَّ كوَّة واحدة غلقاها من الحديد الثخين ولها قفل لا يعلم احد غيرهُ كيفية فتحهِ وبجانب السرير مائدة عليها اثنا عشر فردًا في كلٍّ منها ستة طلقات . فاية لذة لرجل بلغ منهُ الحرص والحذر هذا المبلغ وكيف تكتحل عيناهُ بالسهاد بل كيف يجد الراحة وقد حرم نفسهُ نور الشمس ونقي الهواء وعاش سجينًا في معقل دونهُ الابلق الفرد

واقبح من ذلك ان يعيش الانسان غنيًّا وهو يخشى الفقر صباح مساء . قيل ان ايشيوس الايبكوري الروماني الذي عاش في ايام اغسطس وطيباريوس ولد في نعمة ضافية وثروة وافرة فبذر امواله على الترف والملاذ وهلم يبقَ سنة سرقهُ مشير وخمسين الف شيلنغ الاَّ مسمومًا مخافة ان تنفد امواله كلها ويموت جوعًا

وتحرير النفس من الاستعباد للمال امر عسير لا يستطيعهُ الاَّ نفر قليل . وشأن اكثر الاغنياء في ذلك شأن نحلة رأت كاسًا من العسل فوقعت عليها تريد اجتناء شيء منها فعلقت ارجلها ولم تستطع الخلاص وهي لو زارت الف زهرة وجنت ما فيها من العسل القليل ما علقت بها ولا رأت فيها شراكًا

ومثل ذلك ما يحكى في خرافات الاولين عن ميداس ملك فريجية قيل انهُ سأل الالهة ان تحوّل كل ما يلمسهُ ذهبًا فاجيب سؤلهُ فاستحال خبزهُ ذهبًا وخمرهُ ذهبًا وماؤهُ ذهبًا وكاد يهلك جوعًا لو لم يندم على ما فرط منهُ ويسأل الالهة ان تحرمهُ هذه المزية . فان المال يستحيل غالبًا في ايدي اربابهِ الى جامد صامت لا يؤكل ولا يشرب ولا يُتنفَّس ويثقل على عاتق صاحبهِ ويلقيهِ في بحار القلق والجزع

وحقيقة الامر ان الغنى نافع وضار مثل القوة والعلم والجمال والمهارة وكل المزايا التي يمتاز بها فريق من الناس على غيرهم فاذا احسن الغنيُّ استعمال غناهُ عاش بهِ سعيدًا مكرَّمًا بين اقرانهِ رفيع المنزلة بين خلاَّنهِ ولا سيَّما لانهُ يتمكَّن بهِ من قضاء حاجات نفسهِ وحاجات غيرهِ فينفق على ما بهِ راحتهُ وراحة اهلهِ ويقتني من وسائط التهذيب والتسلية ما لا يستطيعهُ بدونهِ فيبتاع الكتب الكثيرة ويشترك في الجرائد المختلفة ويقي نفسهُ واهلهُ من حرارة الحر وصرارة البرد وعوادي الاوبئة فيقيم فصل البرد في البلاد الحارة وفصل الصيف في البلاد الباردة

و يهاجر بلادهُ اذا دخلها الوباء . و يستطيع ان يعمل في سنة ما لا يعملهُ غيرهُ في سنتين او ثلاث فكأنهُ يعيش ثلاثة اعمار . و يطوف الاقطار و يجوب الامصار فيرى في عامهِ ما لا يراهُ غيرهُ في اعوام و يفعل ذلك كلهُ بلا مشقة ولا تعرُّض للمخاطر و يُشرك اخوانهُ وخلاَّنهُ في نعمتهِ و يكون لهُ اليد الطائلة في ما يعود على ابناء وطنهِ بالنفع والفائدة

وترى امثلة كثيرة على ذلك بين الشعب الانكليزي والشعب الاميركي فان اغنياءهم والمثرين منهم يعيشون عيشة الراحة والفائدة فيسكنون البيوت الرحبة و يقتنون الكتب النفيسة و يطوفون الممالك والامصار يتزهون النفس و يثقفون العقل برؤية ما فيها من المشاهد والآثار الطبيعية والصناعية و ينفقون بكرم على ما يجيد صحتهم و يزيد رفاهيتهم ولا يهملون المدارس والمستشفيات والاعمال العمومية النافعة . فهولاء قد عرفوا كيف يستخدمون غنامم لنفعهم ونفع وطنهم

وكثيرون من الفضلاء والادباء لم يتمكنوا من افادة غيرهم الاَّ لان عندهم ما يزيد عن كفافهم . قال الشهير بوبيه « ليس لي غرام بالغنى ولكن لو كان عندي كفافي فقط لخسرت نصف مواهبي العقلية »

واما من استعبدهُ المال وحرص عليهِ حرصهُ على الحياة ولم ينفقهُ على نفسهِ ولا على غيرهِ فهو افقر من كل فقير ولاسيما اذا عاش قلقًا عليهِ حذرًا من ان يخسرهُ كدوق برنسويك المذكور آنفًا . ومن البلية ان الغنى يغري اصحابهُ بالاستعباد لهُ فترى الحريص على جمعهِ يكدح نهارهُ وليلهُ ولا يشبع من مال ولا يرتوي من نضار ولا يجد راحة ولا لذة . قال جرار الغني الاميركي الشهير انني عبد رقيق محاط بالتعب من كل ناحية وقد مضى عليَّ ليال كثيرة لا اذوق فيها لذة الرقاد وغرضي الوحيد ان اجهد نفسي بالشغل والتعب النهار كلهُ حتَّى تخور قواي واستطيع المنام" . ورأى بعضهم قصر ناثان رتشيلد وكان مثل الفخر قصور الملوك فهنأهُ بهِ وقال لهُ لا بدَّ من ان تكون سعيدًا فيهِ فضحك رتشيلد منهُ وقال لهُ هيهات . وكان ناثان رتشيلد هذا الحاكم المطلق في الامور المالية والسياسية اذا اراد فتح خزائنهُ للملوك واقرضها الاموال واذا اراد اقفل خزائنهُ دونها واوقعها في حيرة وارتباك

ولحكماء العرب وادبائهم حكم رائقة واقوال شائقة في منافع الغنى لا بأس بايراد بعضها قالوا ان في صلاح الاموال سلامة الدين وجمال الوجه و بقاء العز وصون العرض . وقالوا أصلحْ مالك تجدهُ لروعة الزمان وجفوة السلطان ونبوة الاخوان ودفع الاحزان . وقال احيحة بن الجلاَّح اصلحوا اموالكم فانكم لا تزالون ذوي مروآت ما استغنيتم عن عشيرتكم .

وقال عبد الله بن عباس اطلبوا الغنى باصلاح ما في ايديكم فان الفقر مجمع العيوب . وقال معاوية ان الشرف والسؤدد لينتقلان مع الغني كما ينتقل الظل . وقالوا المال يجمع الشمل . ويستر الاهل ويزيد العقل . وقال بعضهم

المال فيهِ مجلّةٌ ومهابةٌ والفقر فيهِ مذلّة وخضوعُ

وقال غيرهُ وبالغ في المقال

المال احسن ما اذّخرتَ فلا تكن سمحًا بهِ وتأنَّ في تبذيلهِ
ما صنّف الناس العلوم باسرها الّا ليحتالوا على تحصيلهِ

وقد اطالوا المقال في ذم البخل والبخلاء وتحقير الجهد والعناء اللذين يعانيهما الانسان في كسب الغنى وذلك كلهُ لا يخرج عن القول الذي تقدّم وهو ان الغنى يغري صاحبهُ بالتعبُّد له فيتملكهُ المال الذي هو مالكهُ فاذا حرّر نفسهُ منهُ واستخدمهُ في مصلحتهِ ومصلحة ذويهِ وبني وطنهِ فهو الغنيُّ المستفيد من الغنى

وفي الطبيعة ثروة طائلة وهي مشاع بين جميع الناس . ومهما اجتهد الاغنياء لا يجدون ثروة توازيها فاغنى اغنياء مصر بل اغنى اغنياء المسكونة لا يمكنهُ ان يحتفر في حديقتهِ بحيرة اجمل من النيل ولا ان ينشئ بستانًا اوسع من الحقول والرياض ولا ان يقيم آكامًا ارفع من الجبال ولا ان ينشر قبةً ارفع من السماء ولا ان يعلّق انوارًا ابدع من النجوم وهذه كلها مشاعة بين جميع الناس . فاذا تمتعوا بها وطالعوا كتاب الطبيعة ودأبوا على اعمالهم المختلفة عاشوا عيشة الاغنياء ولو لم يكونوا منهم

رياضة الكهول

اذا كبرت المدن وكثرت مبانيها وازدحم سكانها فقدت عنصرين ضروريين من عناصر الحياة وهما نور الشمس والهواء النقي لان مبانيها الشاهقة تظلل شوارعها ولو كانت فسيحة وتصدُّ مجاري الرياح فلا تهبُّ فيها الّا قليلاً ولا تنقي هواءها الذي يفسدهُ تنفُّس اهليها . فتسوء صحة السكان وتكثر امراضهم وتزيد وفياتهم كما هو مشاهد في مدن المشرق الى عصرنا هذا . ويتفاقم الضرر اذا كانت المدن في منبسط من الارض كمدن القطر المصري . الّا انهُ يمكن ملافاة بعض الضرر بانشاء الحدائق والبساتين والساحات والرياض في